

نظرية الصراع الاجتماعي

من منطق كارل ماركس إلى منطق رالف داهرنندوف

The theory of social conflict

From the logic of Karl Marx to the logic of Ralph dahirndov

مخطار ديدوش محمد طالب دكتوراه فلسفة جامعة أبو القاسم سعد الله _ الجزائر 2	د. زيات فيصل أستاذ محاضر جامعة العربي التبسي تبسة
---	---

ملخص:

لقد شكل موضوع الصراع الاجتماعي مجالا خصبا للبحث والنقاش والجدال بين المفكرين والتيارات والمذاهب الفكرية قديما وحديثا. فقد تعددت التفسيرات والتحليلات حول طبيعته وأسباب حدوثه ومظاهره ونتائجه.

لقد شكل الفكر الماركسي بداية الدراسة العلمية للصراع الاجتماعي إذ ركز على البحث في الأسباب والعوامل والعلاقات التي تؤدي إلى حدوث الصراع بين الطبقتين البروليتارية والبرجوازية لكي يتسنى له معرفة العلاقات الجديدة الناشئة من جرائه. هذا وقد عرفت نظرية الصراع مع ملحوظا إذ وسع مجال بحثه من النطاق الاقتصادي إلى المجال السياسي.

الكلمات المفتاحية: الصراع الاجتماعي، النظرية، كارل ماركس، الصراع الطبقي، رالف داهرنندوف.

Summary :

The subject of the conflict has been shaped Social space is fertile ground for research Debate and debate among thinkers Intellectual currents and doctrines Old and modern. They have multiplied Explanations and analyzes about Nature and causes of its occurrence and manifestations And its results Marxist thought was a beginning Scientific study of conflict Focusing on research In causes and factors Relationships that lead to The conflict between the two classes occurs Proletarian and bourgeoisie He can know the relationships Emerging from its effects. This I have known the theory of conflict with Ralph Daherndtvura remarkable

Extend your search domain To the political sphere

Keywords : Conflict Social, theory, Carl Max, class struggle, Ralph Dahirindov

مقدمة:

يعتبر الحديث عن الصراع الاجتماعي من المواضيع التي شكلت مجالا خصبا للبحث والنقاش والجدال بين المفكرين والتيارات والمذاهب الفكرية قديما وحديثا. فقد تعددت التفسيرات والتحليلات حول طبيعته وأسباب حدوثه ومظاهره ونتائجه. إن ظاهرة الصراع القائم في المجتمعات قديم قدم المجتمع ذاته، فإذا استتبنا ظهوره تاريخيا نجده موجود في شتى المراحل التاريخية_ ما عدا المرحلة البدائية_ التي مر بها المجتمع في تطوره، فقد كان الصراع موجود بين السيد والعبد في المجتمع العبودي، وبين الإقطاعي والفلاح في المجتمع الإقطاعي، وبين البرجوازي والبروليتاري في المجتمع الرأسمالي. هذا الأخير (الصراع) ينتج نتيجة تعارض واختلاف المصالح سواء الشخصية أو الجماعية، وأيضا نتيجة للرغبة في الاستغلال والسيطرة على الآخرين.

لقد ظهرت نظرية الصراع الاجتماعي كرد فعل على النظرية الوظيفية التي ركزت على البحث في العوامل التي تضمن الثبات والاستقرار داخل المجتمع، مهمة في المقابل من قيمة صراع المصالح والأهداف الشخصية والجماعية داخل المجتمع. هناك من يربط ظهور هذه النظرية بالفكر الماركسي الذي ركز في تحليله للمجتمع على مفهوم الصراع الطبقي بين طبقة البروليتارية والطبقة البرجوازية باعتباره محرك للتاريخ وعامل تغيير للأوضاع والظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية داخل للمجتمع. هذا واستمرت نظرية الصراع بعد ماركس في التطور مع عديد المفكرين والباحثين، من بينهم المفكر الألماني رالف داهرنودف الذي يرى أن الصراع يتخذ أشكال وأنواع مختلفة، وأن طبيعته تختلف من مجتمع لآخر، كما أنه يحدث نتيجة لعدم الاتفاق حول طريقة تقسيم الموارد المادية التي يتوفر عليها المجتمع.

انطلاقا من ذلك ما المقصود بنظرية الصراع الاجتماعي؟ كيف نظر وحلل كارل ماركس فكرة الصراع الطبقي؟ هل نظرية الصراع عند رالف داهرنودف استمرار لنظرية الصراع الطبقي عند ماركس أم تجاوز لها؟

1_ مفهوم الصراع الاجتماعي:

لا يكاد يخلو أي مجتمع اليوم أو فيما مضى من وجود صراع بداخله، مهما كان نوع وطبيعة وحجم ذلك الصراع. فالصراع أصبح صفة ملازمة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. هذا الأخير "يشير إلى العملية الاجتماعية التي تنشأ بين طرفين يوجد بينهما تعارض في المصالح والاهداف، ويسعى كل منهم لتحقيق مصالحه وأهدافه مستخدماً كافة الوسائل والأساليب سواء أكانت مشروعة أو غير مشروعة أو يعترف بها أحد الأطراف أو عدمه". (عبد الله، 1999، ص 211) فهو في الغالب يأخذ صور الأزمة والتوتر والكفاح العدائي. والهدف منه التحكم في سلطة القرار والتسيير، وبالتالي تحقيق السيطرة على الطرف الآخر واستغلاله.

إن الحديث عن فكرة الصراع في غالب الأحيان تقودنا إلى الحديث عن الصراع السياسي، باعتباره النطاق العام الذي يشمل جل أشكال الصراع. وما دما نتحدث عن الصراع في المجال السياسي فإنه يأتي مرافقاً لمفهوم القوة، فنظرية الصراع الاجتماعي تعتبر "من أكثر النظريات السوسيولوجية، اقتراباً من مفهوم القوة. بحثاً وتحليلاً ونقطة انطلاق، فالصراع كعملة اجتماعية تجري حتماً بين قوى مختلفة، متساوية أو متباينة في حجمها وقدرتها بل إن الموضوعات الاجتماعية التي يناضل الناس من أجلها ويكافحون (كالثروة والمال والجاه ...) هي أساساً مصادر للقوة. ومرتكزات أساسية لاكتسابها، ولذلك فإن صراع القوة كما تظهره نظرية الصراع، يعتبر جوهر الدينامية في الحياة الاجتماعية، وأساس التغيرات فيها." (الخوراني، 2008، ص 87) وعليه فتفاوت السيطرة على مصادر القوة داخل المجتمع هو سبب نشوب الصراعات بين أطرافه.

يرى راندال كولنز أن نظرية الصراع تقوم على أربع قواعد رئيسية: (الخوراني، 2008، ص 86، 87)

(1) إن الخاصية المركزية للتنظيم الاجتماعي هي التدرج، الذي يعكس درجة من اللامساواة بين الأفراد والجماعات وهيمنة إحداها على الأخرى. (2) إن مصالح الأفراد والجماعات داخل المجتمع تقف وراء نضالاتهم، وهي إما تبقى علة مواقعهم المهيمنة، أو تخلصهم من هيمنة الآخرين. (3) إن الذي يربح هذه النضالات يعتمد على المصادر التي يسيطر عليها، وتتضمن المصادر المادية للعنف،

وللتبادل الاقتصادي، والمصادر اللازمة للتنظيم الاجتماعي، وتشكيل العواطف والأفكار. (4) التغير الاجتماعي ينبثق عن الصراع ومن هنا، فإن الفترات الزمنية الطويلة من السيطرة الثابتة نسبياً، توثق سلسلة أحداث درامية مؤثرة، ومكثفة لحراك الجماعة.

2_ الصراع الطبقي عند كارل ماركس:

تعتبر نظرية ماركس حول الصراع الطبقي من بين أكثر النظريات التي حظيت باهتمام كبير من قبل المفكرين والعلماء، نظراً للتفسيرات والتحليلات العلمية التي قدمتها حول ظاهرة الصراع والتناقض الحاصل داخل المجتمع الرأسمالي نتيجة التعارض في المصالح والأهداف بين الطبقة العمالية والطبقة البرجوازية.

لقد تبني كارل ماركس في نظريته المادية، المنهج الجدلي الذي اشتهر به هيجل. إلا أن تبنيه لهذا المنهج لم يكن مطابقاً لما وضعه هيجل، بل أخذ منه نواته الجدلية وعدل فيه وحول موضوعه من جدل الأفكار والتصورات العقلية إلى جدل الطبيعة والمجتمع، أي التحول والانتقال من صراع الأفكار إلى صراع الطبقات الاجتماعية. هذا الأخير في حقيقته هو صراع بين من يملكون ومن لا يملكون، بين من يملكون وسائل الإنتاج، وبين من لا يملكونها. "فموقع الأفراد والجماعات من ملكية وسائل الإنتاج يحدد وضعهم الاجتماعي في بناء القوة داخل المجتمع، فإما ينتمون إلى الطبقة المسيطرة أو الطبقة الخاضعة." (الخوراني، 2008، ص 88) فنظام الملكية حسب ماركس هو مصدر جميع الشرور الاجتماعية، لذا يجب الغاؤه وتعويضه بنظام الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج حتى يسود العدل والمساواة داخل المجتمع.

يعترف ماركس بحقيقة أنه لم يكتشف وجود الطبقات ولا الصراع الطبقي، كما أنه يقر بأسبقية بعض المفكرين البرجوازيين الذين أشاروا لهذه المفاهيم في تطرقهم لبعض القضايا الاجتماعية. يقول ماركس في رسالة أرسلها إلى المفكر ويدماير 1852: «أما فيما يتعلق بي الآن، فليس إلى الفضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث، ولا الفضل في اكتشاف الصراع فيما

بينها. فقد سبقني بوقت طويل مؤرخون بورجوازيون إلى عرض التطور التاريخي لصراع الطبقات هذا، واقتصاديون بورجوازيون إلى تشريحه اقتصاديا.» (مراسلات ماركس_إنجلز، 1973، ص 22)

رغم أسبقية غيره في هذا التحديد، إلا أن هذا لم يمنع ماركس من إضافة بعض اللمحات الجديدة في هذا الموضوع. يقول في ذلك: «أما الجديد الذي أتيت به فهو: 1_ إقامة البرهان على أن وجود الطبقات لا يرتبط إلا بمراحل تاريخية محددة من تطور الإنتاج، 2_ على أن صراع الطبقات يفضي بالضرورة الدكتاتورية البروليتاريا، 3_ على أن هذه الدكتاتورية لا تمثل هي نفسها سوى انتقال نحو الغاء الطبقات كافة ونحو مجتمع بلا طبقات.» (مراسلات ماركس_إنجلز، 1973، ص 22)

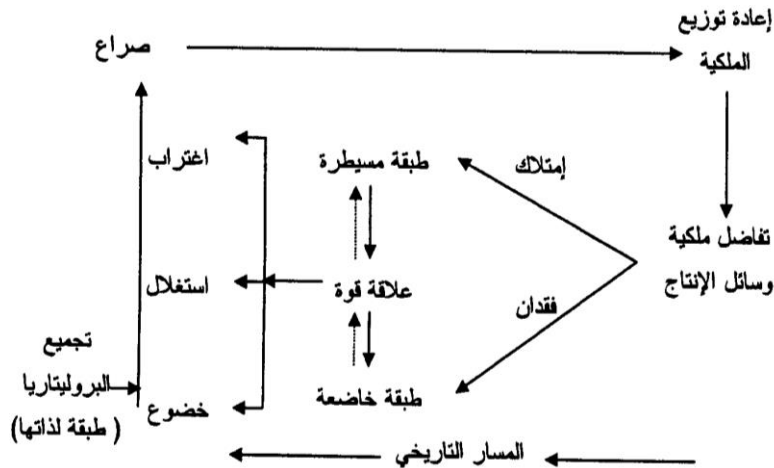
إن الحياة الاجتماعية مليئة بالتناقضات والاختلافات التي تكون أحيانا بين مجتمعات مختلفة تسعى كل منها لتحقيق أهداف ومصالح معينة. وأحيانا أخرى نجدها بين أفراد المجتمع الواحد. وكنتيجة لهذه التناقضات فهي تؤدي في كثير من الأحيان إلى نشوب صراعات وحروب تعيد تشكيل خارطة العلاقات الاجتماعية. يقول ماركس: «إن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية. حروب، نبيل وعامي، بارون وقن، معلم وصانع، وبكلمة ظالمون ومظلومون، في تعارض دائم، خاضوا حربا متواصلة، تارة معلنة وطورا مستترة، حربا كانت تنتهي في كل مرة إما بتحول ثوري للمجتمع كله، إما بهلاك كلتا الطبقتين المتصارعتين.» (ماركس، 1987، ص 15) لذا نجد الماركسية تعمل على اكتشاف البنى والقوانين التي تتحكم في هذا الصراع من أجل تحديد النتيجة التي سيؤول إليها.

يرى ماركس أن المجتمع يتألف من بنيتين اثنتين: بنية فوقية (SUPERSTRUCTURE) وبنية تحية (INFRASTRUCTURE)، الأولى تتمثل في مجموع الافكار والقيم الروحية والسياسية والقانونية والأخلاقية والدينية السائدة في المجتمع. أما البنية التحتية فتطلق على مجمل الظروف المادية الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة في المجتمع. كما أنها هي التي تتحكم وتحدد البنية الفوقية، فهذه الأخيرة حسب ماركس مجرد انعكاس للظروف الاقتصادية للمجتمع، وعليه فأي تغير أو تطور يحدث في البناء التحتي يواكبه تغيير وتحول في البناء الفوقي. ومادام الأمر كذلك فإن معرفة

القوانين والأسس التي تتحكم في تطور البنية التحتية كفيل لمعرفة كيفية تغير التاريخ وتطوره. هذا القول لا يعني عدم وجود تفاعل بين هاتين البنيتين وأن كل منهما له صيغته المستقلة عن الآخر، بل على العكس هناك تفاعل وتبادل حاصل، فالعلاقة بينهما علاقة تأثير وتأثر. ولولا وجود هذا التفاعل لما كانت مادية ماركس مادية دياكتيكية، لأن غياب هذا التفاعل يجعل من ماديته مادية لا تختلف كثيرا عن المادية الميكانيكية التي تميزها المفكرين الماديين الفرنسيين في القرن الثامن.

يرى ماركس أن المجتمع الحديث يتألف من طبقتين رئيسيتين هما: طبقتي البرجوازية والبروليتارية. العلاقة بينهما علاقة صراع وتصادم واستغلال، البرجوازية تحاول الحفاظ على العلاقات السائدة في المجتمع من منطلق أنها تخدم مصالحها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. والبروليتارية تعمل على إحداث الثورة التي تؤدي إلى تغيير الموازين الاجتماعية والاقتصادية والتي من شأنها تحسين ظروف معيشة العمال الكادحين والطبقة الفقيرة بصفة عامة.

الجدول التالي يوضح هذه العلاقة كالآتي: (الهوراني، 2008، ص 94)



لا يختلف اثنان في أن الطبقة البرجوازية تستغل بشق الطرق الطبقة البروليتارية، بحيث أنه كلما زاد العمل زاد الاستغلال بشكل أوسع ويتحول معه العامل إلى مجرد آلة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن العمال لا يأخذون حقهم الكامل من جراء العمل الذي يقومون به، بل يأخذون ما يحتاجونه للعيش فقط، أما الباقي فيأخذه صاحب العمل، وهذا الذي يسمى فائض قيمة عمل العمال الذي من خلاله يتراكم رأس المال في المجتمع الرأسمالي. هذا النهب والاستغلال المقنن الذي يمارسه الملاك على العمال المضطهدين هو الذي دفع بطبقة البروليتاريا إلى المطالبة بتحطيم الرأسمالية، (صبيام، 2009، ص 126) وإعلان الثورة عليها، وهذا من أجل "القضاء على المجتمع الطبقي، وتلاشي الدولة وتنظيماتها المختلفة، وإحلال الملكية العامة مكان الملكية الخاصة والدعوة إلى الحرية الفردية المستندة إلى إدارة ديمقراطية قائمة على الملكية العامة لوسائل الإنتاج". (صديق، 2011، ص 330)

2_ الصراع الاجتماعي عند رالف داهرنودوف:

لقد تأثر رالف داهرنودوف كثيرا بالأفكار والمبادئ التي جاء بها كارل ماركس سواء الاجتماعية منها أو الاقتصادية، وبالأخص تلك التي تتحدث عن الطبقات والصراع الطبقي. ومع ذلك فتأثره لم يكن كلياً وإنما بدرجة نسبية، ويظهر ذلك في عدم اتفاقه معه على أن الصراع ليس محصوراً بين العمال ومالكي وسائل الإنتاج فقط، وإنما هناك أنواع أخرى من الصراع من بينها الذي يحدث بين ذوي البشرة البيضاء والبشرة السوداء (التمييز العنصري)، وأيضاً بين الآباء والأبناء داخل الأسرة، وبين المدرسين والطلاب في المدارس والجامعات ... وغيره. (طلعت، الزياد، ص 100) كما يرى أن بعض أفكاره لم تعد تتلاءم مع طبيعة المجتمعات الحديثة التي عرفت تطوراً كبيراً مقارنة بالوقت الذي كتب فيه ماركس أفكاره. فعلى سبيل المثال لم يعد ذلك المفهوم العام عن الطبقة العاملة ذات التوجه الواحد والأهداف الواحدة، بل أصبحت هناك مصالح مختلفة ومكانات متعددة لأفراد الطبقة الواحدة. كما أن نظام الملكية لم يعد كما كان في السابق، بل أصبح هناك انفصال للملكية عن الإدارة، وأُخرج الملاك من عملية الإنتاج وبالتالي القضاء على سلطتهم الاستغلالية. (زياد، ص 181، 182) وهذا ما سمح بتحسين ظروف الطبقة العاملة الاقتصادية وارتفاع مكانتهم

الاجتماعية. إلا أن هذا ليس معناه أن الصراع لم يعد موجود أو ليس له قيمة، بل بالعكس فالواقع يثبت أن الصراع لم يغيب يوما عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

هذا ويشير داهرنودف إلى أنه بالرغم من التغيرات والتحديات التي طرأت على النظام الرأسمالي، والطبقة الرأسمالية، وظهور المجتمع ما بعد الرأسمالي، ونمو الطبقة الوسطى. إلا أنه كنظام بقي محافظ على قوته ومحكما لسيطرته على مصادر الثروة والقوة وأمور الحكم في المجتمع، (الهوراني، 2008، ص 96) ويظهر ذلك في وجود حاكم ومحكوم وأمر ومأمور داخل المجتمع، فكما هو معروف أينما وجدت القوة والسيطرة وُجد الخضوع والاستغلال. إن هذه السيطرة والقهر هو ما يجعل من التنظيمات الاجتماعية متسقة، كما أنه هو أيضا الذي يدفع للتمرد والتغيير الاجتماعي لإعادة تقسيم القوة وتمركز السلطة، فالصراع دائما ما ينشأ بين مواقع السيطرة ومواقع الخضوع. وعليه فالصراع في المجتمع الصناعي يتولد من علاقات السلطة، لا من علاقات الإنتاج كما قال ماركس. فإذا كان الصراع عند ماركس اقتصاديا ماديا، فإنه عند داهرنودف سياسي بدرجة أكثر.

انطلاقا من مفهوم السلطة الذي يعني "احتمال طاعة أشخاص معينين لقائد جماعة معينة." (زايد، ص 184) يبني داهرنودف نظريته الاجتماعية، فشير إلى أن المجتمع في الغالب يتألف من جماعتين متضادتين: إحداها مهيمنة، وأخرى خاضعة. يحدث عادة صراع بينهما نتيجة لوجود حالات من عدم الرضى حول كيفية تقسيم الموارد المادية مثل: السلطة والدخل والملكية. وأيضا لوجود "ما يسمى بـ "الرموز الثقافية" وهو نوع من الأسباب التي تؤدي إلى انسجام بين البشر أو إلى خصام. والخصام في هذا السياق قد يتجلى في الاختلاف على مفهوم السلطة المادية. فمن له الحق في السلطة وتملكها؟ ولماذا؟ هو سؤال يسمح بنشوب صراع. أما من وجهة نظر ماركسية فإن قضية العدالة الاجتماعية تعد متغيرا بنيويا في إثارة الصراعات الاجتماعية طالما أن هناك توزيع غير عادل للثروة." (حجازي، ص 47)

تتجلى ملامح نظرية الصراع عند داهرنودف بوضوح أكثر في النقاط التالية: (الهوراني،

2008، ص 95)

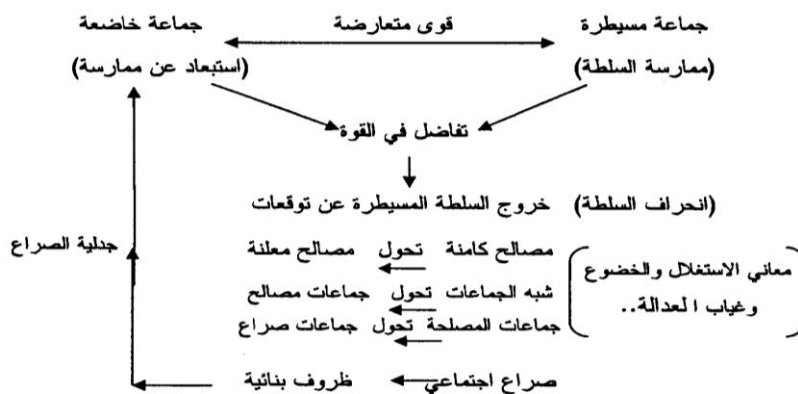
_ كل مجتمع عرضة لعمليات التغيير.

_ كل مجتمع يتضمن الصراع والاتفاق وهي عملية شمولية.

_ كل عنصر يسهم في عدم التكامل داخل النسق ويؤدي إلى التغيير.

_ كل مجتمع يركز على قهر بعض أعضائه للبعض الآخر.

هذا المخطط يعبر باختصار عن نظرية الصراع عند داهرنودف وعن العلاقة القائمة بين الجماعات المسيطرة على السلطة، والجماعات الخاضعة لها، كالآتي: (الهوراني، 2008، ص 101)



يُبرز هذا المخطط بوضوح أن التنظيمات الاجتماعية تتألف من جماعتين واحدة مسيطرة والأخرى خاضعة، وهذا الوضع المرهون بالقوة والسيطرة سيدفع بالجماعة الخاضعة إلى التمرد، ويتم ذلك بأن يتبلوروا في جماعات على شكل أحزاب أو نقابات تحدد أهدافها وتعلن عن مصالحها استعداداً للدخول في تمرد اجتماعي ضد الجماعة المسيطرة، يفضي إلى تنظيم اجتماعي جديد يكون أرضية لصراع لاحق، وهكذا يتم الأمر بطريقة جدلية.

خاتمة:

في ختام بحثنا هذا نرى أن الصراع سمة مميزة للحياة الاجتماعية، يحدث نتيجة تعارض المصالح بين طرفين أو أكثر، كما أنه يتخذ أشكالاً مختلفة، بحيث أننا نجد الصراع الطبقي عند كارل ماركس الذي يعتبر في جوهره صراع بين من يملكون وسائل الإنتاج وبين من لا يملكونها. ولمعرفة النتائج والاتجاه الذي سينتهي إليه والعلاقات الجديدة التي ستنشأ من جرائه، يكفي اكتشاف العلاقات والقوانين التي تتحكم فيه، وهذا ما تسعى الماركسية للوصول إليه.

لقد ركز رالف داهرنودوف في نظريته على الصراع باعتباره حالة مستمرة ومتواصلة بين الطبقات والأفراد التي ستؤدي لا محالة إلى حالة دائمة من التغيير الاجتماعي، إلا أن هذا لا يمنع وجود فترات يسود فيها نوع من الوئام والوفاق التي تضمن بعض الاستقرار الاجتماعي. فإذا سلمنا بوجود مجتمع دائم الثبات والاستقرار، فإننا نقع في اليوتوبيا. وأيضاً وجود مجتمع دائم الصراع والتغيير معناه مجتمع متهالك ومحطم وفاقد للقيم.

قائمة المراجع:

- (1) _ الحوراني. محمد عبد الكريم. (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. ط 1. دار مجدلاوي. عمان. الأردن.
- (2) _ حجازي. أكرم. النظرية الاجتماعية. الجمهورية اليمنية.
- (3) _ زايد. أحمد. علم الاجتماع. دار الكتب المصرية. مصر.
- (4) _ صيام. شحاتة. (2009). النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة. ط 1. مصر العربية للنشر والتوزيع. مصر.
- (5) _ طلعت. ابراهيم لطفي، الزيات. كمال عبد الحميد. النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. دار غريب للطباعة. مصر.
- (6) _ عبد الله. محمد عبد الرحمن. (1999). علم الاجتماع النشأة والتطور. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. مصر.

(7) _ ماركس. كارل. إنجلز. فريدريك. (1987). بيان الحزب الشيوعي. ترجمة: عصام أمين. ط1. المصدر العربي.

(8) _ مراسلات ماركس _ إنجلز. (1973). ترجمة: جورج طرايشي. ط 1. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.
المجلات:

_ صديق. حسين. (2011). "الاتجاهات النظرية التقليدية لدراسة التنظيمات الاجتماعية عرض وتقويم". مجلة جامعة دمشق. المجلد 27. العدد الثالث + الرابع.